



قواعد الحساب والشهادة على العباد في الآخرة - دراسة حديثة موضوعية

Rules of reckoning in the afterlife - a study in hadiths

أ. سناء محمد رشدي المبيض

Sanaa Muhammad Rushdi Al-Mubayed

كلية الدعوة الإسلامية، غزة - فلسطين

Sr6610383@gmail.com

د. إبراهيم محمد محمود عبده*

Ibrahim Mohamed Mahmoud Abdo

كلية الدعوة الإسلامية، غزة - فلسطين

Ibrahem22011@gmail.com

تاريخ القبول: 2021/12/04

تاريخ الاستلام: 2021/10/30

ملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان القواعد التي يحاسب الله عليها العباد في الآخرة في ضوء الحديث النبوي الشريف؛ ولتحقيق ذلك اتبع الباحثان المنهج الاستنباطي، حيث قاما بجمع الأحاديث النبوية الدالة على ذلك، واستنباط القواعد المرجوة منها. وقد استخلص الباحثان مجموعة من هذه القواعد الربانية، منها: (أنَّ الجزاء من جنس العمل، وأنَّ الله لا يؤاخذ أحدًا بجريرة غيره، ومضاعفة الحسنات دون السيئات، وتبديل السيئات إلى حسنات، وإقامة الشهادة على العباد؛ سواء شهادة أعضاء الإنسان على نفسه، وشهادة باقي المخلوقات عليه، والشهادة الأعظم شهادة الأنبياء والملائكة عليه).

الكلمات المفتاحية: القواعد، الحساب، الشهادة، العباد.

Abstract:

This research aims to clarify the rules by which God will hold people accountable in the Hereafter in the light of the Noble Prophetic hadith. To achieve this, the researchers followed the deductive approach, where they collected hadiths that refer to this, and extracted from them the intended rules. The researchers extracted a set of these divine rules, including: That the reward is a kind of work, and that God does not punish anyone for the sins of others, and that good deeds multiply, and bad deeds do not multiply, and bad deeds are turned into good deeds. Proof of slave testimony: the testimony of man against himself, and the testimony of others against him, the largest of which is the testimony of the prophets and angels against him.

Keywords: Rules; reckoning; afterlife; Hadiths.

مقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره وتبع هذا بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فمع ضياع الحقوق، وانتشار المظالم بين العباد، لا شيء أنجع، ولا دواء أفضل في علاج هذا الداء من تذكير الناس بموقف الحساب والشهادة على العباد {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة: 18]؛ إذ إن الحديث عن الحساب وأهواله يورث الخوف والخشية في القلوب مما يدفع الناس للابتعاد عن الظلم وأكل الحقوق، ولذلك يقول أبو سليمان الداراني: "أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله ﷻ، وكل قلب ليس فيه خوف فهو قلب خرب" (1).

والحديث عن المحكمة الإلهية يوم القيامة والقواعد التي يحاسب الله تعالى بها العباد له أثر كبير على الفرد والمجتمع من جهة تذكيرهم بالبعد عن الظلم، والعمل على إقامة العدل في الدنيا فيما بينهم وهذا له دور لتحقيق الأمن للمجتمعات، ومن جهة أخرى أن يعرف العبد ما له وما عليه من حقوق وواجبات مي يعد العدة للآخرة ويستعد.

أولاً: أهمية البحث وبواعث اختياره:

تكمن أهمية البحث في أمور عدة، منها:

1. تعلقه بموضوع من مواضيع العقيدة والأمر الغيبية وموقف من مواقف يوم القيامة، وهو موقف الحساب والشهادة على العباد، ولا يخفى ما لهذا الموقف من أهمية ومكانة.

2. لما في تذكّر ذلك الموقف من حث على العمل الصالح، والمبادرة لفعل الخيرات وترك المنكرات.

3. لما في تذكّر موقف الحساب في الآخرة من تحذير للناس بأن لا يخطئوا حساباتهم في الدنيا، خاصة ونحن نعيش في زمن كثرت فيه المظالم، وبغى كثير من

(1) ابن رجب الحنبلي، التخويف من النار، ص122.

الخطاء على بعضهم⁽¹⁾، فأكلوا أموال غيرهم، ونالوا من الأعراض بدون وجه حق، ولا شك أنه لا شيء مثل تذكر الوقوف بين يدي الله ﷻ للحساب علاجاً لذلك.

ثانياً: أهداف البحث:

1. بيان الأحاديث المتعلقة بالقواعد التي يحاسب الله عليها العباد، واستخراج ما فيها من فوائد.

2. دراسة السنة دراسة متأنية تستهدف خدمة الأمة الإسلامية من خلال دراسة حديثية قديمة معاصرة تناول نصوص موقف الحساب والشهادة على العباد يوم القيامة.

3. بيان اهتمام السلف بأحاديث موقف الحساب، وحرصهم على نشرها وبيانها.

ثالثاً: منهج البحث:

سيتبع الباحثان المنهج الاستنباطي في عرض نصوص السنة واستنباط القواعد التي يحاسب الله تعالى عليها العباد في الآخرة منها.

أما منهجية الباحثين في هذا البحث فتتمثل في الخطوات الآتية:

1. تصنيف النصوص الحديثية، وترتيبها، وتفصيلها حسب مباحث الدراسة، والاقتصار على الأحاديث المقبولة التي تدور بين الصحة والحسن، واستبعاد ما لم يصح أو لم يثبت.

2. الحكم على الأحاديث بأقوال العلماء، أمّا إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فالعزو إليهما أو إلى أحدهما كفيلاً بصحته.

3. تفسير الألفاظ الغريبة من كتب غريب ألفاظ الحديث، وشروح الحديث.

4. الانتقاء والاختيار من أقوال العلماء والشرّاح في التعليق على الأحاديث بما يفي بالغرض.

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:24].

رابعاً: خطة البحث:

ينقسم البحث بعد هذه المقدمة إلى: مبحثين، وخاتمة، كالاتي:

المبحث الأول: صفة الحساب والقواعد التي يحاسب عليها العباد.

المبحث الثاني: الشهادة على العباد.

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات

المبحث الأول: صفة الحساب والقواعد التي يحاسب عليها العباد

المطلب الأول: وصف الحساب:

الفرع الأول: تعريف الحساب:

في اللغة: الْحِسَابُ وَالْحِسَابَةُ: عَدُّ الشَّيْءِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: 202]؛ أي حِسَابُهُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، وَكُلُّ وَاقِعٍ فَهُوَ سَرِيعٌ⁽¹⁾.

وفي الاصطلاح: تعريف الله ﷻ الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم ما قد نسوه من ذلك، يدلُّ على هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: 6]⁽²⁾، وقد عرّفه القرطبي، فقال: "ومعناه أن البارئ ﷻ يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة، يعدد عليهم نعمه ثم يقابل البعض بالبعض"⁽³⁾.

(1) انظر: الجوهري، الصحاح، "حسب"، (1/110)، ابن فارس، مقاييس اللغة، "حسب"،

(2/59)، وابن منظور، لسان العرب، "حسب"، (314-313/1).

(2) انظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (2/117).

(3) القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص 562.

الفرع الثاني: كيفية الحساب:

يقول ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قول المولى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 92-93]: "لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؟ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول لهم: لم عملتم كذا وكذا؟" (1).

فالعباد لا يسألون عن الأعمال، لأن الكتب مشتملة عليها، ولكنهم يسألون عن الدواعي التي دعتهم إلى الأعمال، وعن الصوارف التي صرفتهم عنها (2).

فإن قيل: كيف يحاسب الله العباد في آن واحد؟

فالجواب: أن الله ﷻ لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلظه المسائل، بل هو ﷻ يكلم العباد يوم القيامة، ويحاسبهم لا يشغله هذا عن هذا، والله ﷻ في الدنيا يسمع دعاء الداعين ويحيب السائلين؛ مع اختلاف اللغات وفنون الحاجات، والرب ﷻ واسع علم، وسع سمعه الأصوات كلها، وعطاؤه الحاجات كلها، وهذا معنى ما قيل لابن عباس - رضي الله عنهما -: كَيْفَ يُكَلِّمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلُّهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ؟ قَالُوا: "كَمَا يَرْزُقُهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ" (3).

ولقد جاء في كيفية الحساب أن الله ﷻ وتعالى يكلم عباده ليس بينه وبين أحدهم واسطة أو ترجمان، ففي الصحيحين من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ" (4).

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (17/150).

(2) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (14/201).

(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (5/246).

(4) صحيح البخاري (8/112)، كتاب الرقاق، باب مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عَذَّبَ، حديث 6539، وصحيح مسلم (2/703)، كتاب الزكاة، باب الْحُثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَتَتْهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، حديث 1016.

والمراد بالحجاب: نفي المانع من الرؤية، والله ﷻ منزه عما يحجبه؛ إذ الحجاب إنما يحيط بمقدر محسوس، ولكن المراد بحجابه؛ منعه أبصار خلقه، وبصائرهم بما شاء، متى شاء، كيف شاء، وإذا شاء كشف ذلك عنهم⁽¹⁾.

الفرع الثالث: أنواع الحساب:

تختلف طريقة المحاسبة ونوعها من شخص لآخر حسب مرتبته، بين العرض، والمناقشة، ومعاقبة الرب ﷻ لعبده على تقصيره، وهي كالآتي:

النوع الأول: العرض: والمراد به: "عرض ذنوب المؤمنين عليهم، كي يدركوا مدى نعمة الله عليهم في غفرانها لهم"⁽²⁾، ومثاله ما جاء في الصحيحين من حديث صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ، قَالَ: "بَيْنَمَا أَنَا أُمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما -، أَخِذَ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَيَسْرُوهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» [هود:18]"⁽³⁾.

أما قوله ﷻ: "إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ": فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ يُقَرِّبُهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَكَرَامَاتِهِ وَعُطْفِهِ وَلُطْفِهِ، وَهَذَا سَائِعٌ فِي اللُّغَةِ أَنْ يَقَالَ: فَلَان قَرِيبٌ مِنْ فَلَانٍ، وَيُرَادُّ بِهِ قَرَبُ الْمَنْزِلَةِ، وَعُلُوُّ الدَّرَجَةِ عِنْدَهُ؛ لِاسْتِحَالَةِ الْمَسَاحَةِ، وَالْمَسَافَةِ، وَبَعْدِ الْمَكَانِ، وَالنَّهَائَةِ عَلَى اللَّهِ ﷻ⁽⁴⁾.

(1) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (13/431).

(2) عمر الأشقر، القيامة الكبرى، ص225.

(3) صحيح البخاري (3/128)، كتاب التفسير، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، حديث 2441، وصحيح مسلم (4/2120)، كتاب التوبة، بَاب قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ، حديث 2768.

(4) انظر: ابن فورك، مشكل الحديث وبيانه، ص155.

وأما قوله ﷺ: "فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَفَّهُ": أي ستره ولطفه وإكرامه، فيخاطب خطاب ملاطفة، ويناجيه مناجاة المصافاة والمحادثة، فيقول له: هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف، فيقول الله ممتناً عليه، ومظهرًا فضله لديه: "فإني قد سترتها عليك في الدنيا"، أي لم أفضحك بها فيها، وأنا أغفرها لك اليوم" (1).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها -، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ إِلَّا هَلَكَ"، قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الإنشاق: 7-8]، قَالَ: "ذَاكَ الْعَرْضُ يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ" (2).

فظاهر الآية: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، يتعارض مع ظاهر قوله ﷺ في الحديث "وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ"، فكيف يمكن الجمع بينهما؟!

ولرفع هذا التعارض، والجمع بين الحديث والآية؛ قال ابن حجر: "وجه المعارضة؛ أن لفظ الحديث عام في تعذيب كل من حوسب، ولفظ الآية دال على أن بعضهم لا يُعَذَّب، وطريق الجمع أن المراد بالحساب في الآية العرض، وهو إبراز الأعمال وإظهارها، فيُعرف صاحبها بذنوبه، ثم يتجاوز عنه" (3).

وقال القاضي عياض: "له معنيان، أحدهما: أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب لما فيه من التوبيخ، والثاني: أنه مفض إلى العذاب بالنار" (4).

(1) انظر: القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص 633.

(2) صحيح البخاري (6/167)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، حديث 4939، وصحيح مسلم (4/2205)، كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، باب إِبْتَاتِ الْحِسَابِ، حديث 2876.

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (11/402).

(4) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم (8/407).

وقال النووي: "الثاني هو الصحيح، ومعناه: أن التقصير غالب في العباد، فمن استقصي عليه ولم يسامح هلك ودخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء" (1).

ويؤيد ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيقال: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فيقال: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا، فيقول: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فيقال له: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سِنَةٍ حَسَنَةً، فيقول: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَاهُنَا..." الحديث (2).

النوع الثاني: المناقشة: وهي كما قال النبي ﷺ في الحديث: "وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ" (3).

والمراد بالمناقشة: "الاستقصاء والتفتيش في الحساب، والمطالبة بالجليل والحقير، وترك المسامحة فيه، حتى لا يترك منه شيء" (4)، و"قليل: هو نقش عذابه، أي: يعذب بحسابه، وقيل: بل إذا نوقش ووزنت أعماله وخطراته وهمه وصغائره وكبائره لم يكدر يتخلص إن لم يعف الله عنه" (5).

ومن الأمثلة على المناقشة، مناقشة الملك ﷻ لأصناف من المرائين من عبادته، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ

(1) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم (17/209).

(2) صحيح مسلم (1/177)، كتاب الإيمان، باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ فِيهَا، حديث 190.

(3) صحيح البخاري (6/167)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، حديث 4939، وصحيح مسلم (4/2205)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحِسَابِ، حديث 2876.

(4) انظر: البغوي، شرح السنة (15/132)، والعيني، عمدة القاري (23/113).

(5) ابن قرقول، مطالع الأنوار على صحاح الآثار (4/207).

فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟، قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَن يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ... (1).

وفي رواية للترمذي: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، لَمَّا حَدَّثَ بِهِ نَشَغَ نَشْعَةً (2)، فَمَكَثَ قَلِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ، ثُمَّ نَشَغَ نَشْعَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ، ثُمَّ نَشَغَ نَشْعَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًا عَلَى وَجْهِهِ فَاسْتَدْوَاهُ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ، فَذَكَرَهُ...، وَفِيهِ أَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه لَمَّا أُخْبِرَ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "قَدْ فَعَلَ بِهِؤَلَاءِ هَذَا، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ هَالِكٌ، ثُمَّ أَفَاقَ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ" [هود: 15-16] (3).

النوع الثالث: معاتبة الرب ﷻ عبده فيما وقع منه من تقصير:

مثال ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا بَنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تُعْذِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُوذُكَ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضٌ، فَلَمْ تُعْذِهِ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ، لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا بَنَ آدَمَ، اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ، يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا بَنَ آدَمَ،

(1) صحيح مسلم (3/1513)، كتاب الإمارة، باب من قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، حديث 1905.

(2) النشغ: الشهيق حتى يكاد يبلغ به الغشي، شوقاً وأسفاً على النبي ﷺ. (البغوي، شرح السنة، 14/334، والزخشي، الفائق في غريب الحديث، "نَشَغَ"، 3/431).

(3) جامع الترمذي (4/169)، كتاب الزهد، بابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ حديث 238، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ". وقد صححه الحاكم، ووافقه الذهبي. (انظر: الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين 1/418، حديث 1527).

اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي؟ قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَا نُفْلَمْ تَسْقِيهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي⁽¹⁾.

ولا إشكال في معنى الحديث، من نسب المرض والجوع والعطش إلى الله تعالى، فهو ﷺ أراد عبده، لا ذاته، فعبّر عن نفسه تكريماً لعبده، ومعنى "لَوْ جَدْتَنِي عِنْدَهُ"، أي وجدت ثوابي وكرامتي، ويُدلُّ عليه قوله تعالى في تمام الحديث "لَوْ أَطْعَمْتَهُ... لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي"، أي: ثوابه⁽²⁾.

قال ابن فورك: "هذه طريقة مُعْتَادَة في الخطاب عَرَبِيَّة وَأَعْجَمِيَّة، وَذَلِكَ أَنْ يُخْبِر السَّيِّدَ عَنْ نَفْسِهِ، وَيُرِيدُ عَبْدُهُ؛ إِكْرَامًا لَهُ وَتَعْظِيمًا، حَتَّى كَأَنَّهُ هُوَ تَوْهَمٌ مِنْ جَلَالَتِهِ وَعَظَمُ مَنْزِلَتِهِ مَسَاوَاتِهِ لَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْجَلَالَةِ"⁽³⁾.

المطلب الثاني: القواعد التي يحاسب على وفقها العباد:

كما أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَخْلُقِ الْبَشَرَ عَبَثًا، فَكَذَلِكَ حِسَابُهُ لَهُمْ لَنْ يَكُونَ إِلَّا حَقًّا عَدْلًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ [المؤمنون: 115-116]، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْحِسَابُ وَفْقَ قَوَاعِدٍ عَادِلَةٍ، وَنِظَامٍ حَكِيمٍ، لَا يَشُوْبُهُ الظُّلْمُ، وَلَا يَعْتَرِيهِ النِّقْصُ، وَلَقَدْ أَعْلَمَنَا اللَّهُ ﷻ بِهِ كَيْي نَكُونُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْهُ، فَنَجْتَهِدُ فِي تَحْقِيقِ مَا يَرْضِيهِ وَفْقَ مَا أَمَرَ ﷻ، وَهَذِهِ الْقَوَاعِدُ تَتِمُّثَلُ فِيهَا يَأْتِي:

أولاً: العدل المطلق والتام:

أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيْمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا"⁽⁴⁾.

(1) صحيح مسلم (4/1990)، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْآدَابِ، بَابُ فَضْلِ عِيَادَةِ الْمُرِيضِ، حَدِيثُ 2569.

(2) انظر: لنووي، المنهاج شرح صحيح مسلم (16/126).

(3) ابن فورك، مشكل الحديث وبيانه، ص 151.

(4) صحيح مسلم (4/1994)، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حَدِيثُ 2577.

قوله ﷺ: "إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي": أي: تقدّست عنه وتعاليت، والظلم مستحيل في حق الله ﷻ، كيف يجاوز سبحانه حدًا، وليس فوقه من يطيعه؟ وكيف يتصرف في غير مُلك، والعالم كله في ملكه وسلطانه⁽¹⁾.

ولا يقتصر عدل الله ﷻ على بني البشر فحسب، بل العدل يقع على البهائم والدواب وجميع المخلوقات، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "لَتَوَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ⁽²⁾ مِنَ الشَّاةِ الْقَرَنَاءِ"⁽³⁾.

أفاد الحديث: حشر البهائم، ووقوع الاقتصاص بينها على سبيل المقابلة، لا المجازاة، إذ إنها ليست من المكلفين، ويُقاس عليها الصبيان والمجانين ومن لم تبلغه دعوة الله⁽⁴⁾.

ولذلك أمرنا النبي ﷺ أن نتحلل من مظالم الناس قبل فوات الأوان، ففي صحيح البخاري: عن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ تَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مَنْ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ"⁽⁵⁾.

بل إن النبي ﷺ قد سمى الظالم الذي لم يعد الحقوق لأصحابها مفلسًا؛ لأنَّ حقيقة الإفلاس، هي من الحسنات، وليس من المال، فعن أبي هريرة ﷺ، قال النبي ﷺ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ

(1) انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم (16/132).

(2) هِيَ الَّتِي لَا قَرْنَ لَهَا. (ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث، "جَلَحَ"، 1/284).

(3) صحيح مسلم (4/1997)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث 2582.

(4) انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم (16/136).

(5) صحيح البخاري (8/111)، كتاب الرقاق، باب الْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث 6534.

حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ" (1).

يستفاد من الحديث: أنه إذا خلت الأكف في القيامة من الأغراض التي كانت يتعاطاها الناس في الدنيا، ويتظالمون فيها، انتقل جنس الأثمان إلى الحسنات، فأخذ منها ما يقوّم به المظالم، فإن لم يكن للظالم حسنات وضع عليه من سيئات خصمه ما يقوّم به أيضًا مظلمته؛ ليخف عن المظلوم، ويتضاعف الثقل على الظالم؛ عملاً بالحق، ووزناً بالقسط، ويجزئ من ذلك كله أن يستحل الرجل من أخيه في هذه الدنيا (2).

فإن قيل: إن ثواب الحسنة خالدٌ أبداً غير متناهٍ، وجزاء السيئة من الظلم وغيره متناهٍ، فكيف يقع غير المتناهي موقع المتناهي، وكيف يقوم مقامه فيصير المظلوم ظالماً؟

فالجواب: أن يعطي خصمه من أصل ثواب الحسنة ما يوازي عقوبة سيئته، إذ الزائد عليه فضل من الله عليه خاصة، فإن لم تف حسناته بذلك أخذ من عقوبة خصومه، فيحط عليهم فيزاد في عقابه (3).

فإن قيل: ما التوفيق بين الحديث، وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر: 18]؟

فالجواب: "لا تعارض بينهما؛ لأنه إنما يُعاقب بسبب فعله وظلمه، أو معناه: لا تزر باختياره وإرادته" (4).

-
- (1) صحيح مسلم (4/ 1997)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث 2581.
(2) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح (7/338).
(3) انظر: الكرمانى الكواكب الدراري (23/41)، وابن حجر العسقلاني، فتح الباري (11/397)، والعيني، عمدة القاري (23/112).
(4) انظر: الكرمانى، الكواكب الدراري (23/41)، وابن حجر العسقلاني، فتح الباري (11/397)، والعيني، عمدة القاري (23/112).

ثانياً: الجزاء من جنس العمل:

لقد دلّ الكتاب والسنة، في أكثر من مئة موضع على أنّ الجزاء من جنس العمل في الخير والشر⁽¹⁾، كما قال تعالى: ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ [النبا: 26]، أي: "موافقاً لأعمالهم"⁽²⁾.

ومن أمثلة ذلك في السنة: عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما -، قال النبي ﷺ: "وَأِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ"⁽³⁾، وفي المقابل قال النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا"، أخرجه مسلم⁽⁴⁾ من حديث هشام بن حكيم بن حزام - رضي الله عنهما -⁽⁵⁾، أنه مرّ على أناس، قد أقيموا في الشمس، فقال: ما سَأَلْتُمْ؟ قالوا حُبِسُوا فِي الْجَزْيَةِ، فقال هشام: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وذكره.

وهذا يرجع إلى أنّ الجزاء من جنس العمل، حيث إنّ الراحين يكافون بالرحمة يوم القيامة مقابل رحمتهم الخلق، والصنف الآخر يواجهون أعتى أنواع العذاب بسبب تعذيبهم الخلق، وما هو بمصروف عنهم، إلا أن يشاء الله ﷻ.

(1) انظر: ابن قيم الجوزية، حاشيته على سنن أبي داود مع عون المعبود (12/176)، ومحمد الولوي، ذخيرة العقبي (36/93).

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (19/181).

(3) صحيح البخاري (9/133)، كتاب التوحيد، باب قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، حديث 7448، وصحيح مسلم (2/635)، كتاب الجنائز، باب الْبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ، حديث 922.

(4) صحيح مسلم (4/2017)، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ، باب الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِمَنْ عَذَّبَ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقٍّ، حديث 2613.

(5) هشام بن حكيم بن حزام الأسدي، أسلم يوم الفتح، ومات قبل أبيه، وكان من فضلاء الصحابة، ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. (انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 4/1538، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة 6/422).

ثالثاً: الرحمة بالعباد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي" ⁽¹⁾. وفي رواية في الصحيحين، قال: "إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي" ⁽²⁾.

فالمراد بالسبق والغلبة هنا؛ كثرة الرحمة وشمولها ⁽³⁾.

ولقد أخبر النبي ﷺ أن الله خلق الرحمة مائة جزءاً، أَدَّخَرَ مِنْهَا تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ لِلَّهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعُطِفُ الْوُحُوشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ⁽⁴⁾. وفي رواية للبخاري، قال: "فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ" ⁽⁵⁾.

قال النووي: "هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبخارة للمسلمين؛ لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار، بالإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به، فكيف الظن بمئة رحمة في الدار الآخرة، وهي دار القرار ودار الجزاء!" ⁽⁶⁾.

(1) صحيح البخاري (9/135)، كتاب التوحيد، باب قوله ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾، حديث 7453.

(2) صحيح البخاري (9/120)، كتاب التوحيد، باب قوله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، حديث 7404، وصحيح مسلم (4/2107)، كتاب التوبة، باب سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، حديث 2751.

(3) انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم (17/68)، والطبي، الكاشف عن حقائق السنن (6/1860).

(4) صحيح مسلم (4/2107)، كتاب التوبة، باب سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، حديث 2751.

(5) صحيح البخاري (8/99)، كتاب الرقاق، باب الرَّجَاءِ مَعَ الْخَوْفِ، حديث 6469.

(6) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم (17/68-69).

رابعاً: لا يؤاخذ الله أحداً بجريرة غيره:

من تمام عدل الله ﷻ أنه لا يحاسب أحداً بذنب غيره، حيث يقول ﷻ: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: 164].

فكل إنسان ليس له إلا ما عمل في هذه الدنيا، فإن عمل خيراً فلنفسه، وإن أساء فعليها، ولا يحمل أحدٌ من خطيئة أحدٍ شيئاً.

فإن قيل: هل هذه القاعدة تخالف قول الله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَاهُمْ وَأَنْثَقَالًا مَعَ أَثْقَاهُمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [العنكبوت: 13]؟

الجواب؛ في نقطتين: الأولى: أن السياق لهذه الآية مع التي قبلها ينفي التعارض، حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [العنكبوت: 12]، فيصبح المعنى: وليحملن هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أوزار أنفسهم وأثامها، وأوزار من أضلوا وصدّوا عن سبيل الله مع أوزارهم⁽¹⁾.

والأخرى: إن هذه الآية نظير قوله ﷻ في الحديث: "وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً"⁽²⁾، وكقوله ﷻ فيما أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود ﷺ: "لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا"⁽³⁾.

قال أبو بكر الكلاباذي: "فإذا جاز أن يكون على من مات من سنين إثم من عمل بعده، كذلك يجوز أن يطرح سيئات من عملها على من لم يعملها، فابن آدم إنما قتل

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (20/16)

(2) صحيح مسلم (4/2060)، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، حديث 2674.

(3) صحيح البخاري (3/9)، كتاب الديات، باب قول الله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، حديث 6867،

صحيح مسلم (3/1303)، كتاب القسامة والمحاريب والقصاص والديات، باب بيان إثم من سنّ القتل، حديث 1677.

نفساً واحدة، وي طرح عليه آثام كل من قتل نفساً بغير حق إلى يوم القيامة، وذلك جزاء فعله، كأن الله جعل عقوبة ابن آدم في النار إثمه وآثام القاتلين، لا أن يكون يؤخذ بذنب غيره، ويعاقب على معصية لم يعملها" (1).

خامساً: مضاعفة الحسنات دون السيئات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ" (2).

وفي رواية: "قالت الملائكة: رَبِّ ذَاكَ عَبْدُكَ، يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً - وهو أَبْصَرُ بِهِ - فقال: ارْزُقُوهُ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَارْزُقُوهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَارْزُقُوهُ بِحَسَنَةٍ، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي..." الحديث (3).

قوله ﷺ: "وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ": هذا يدل على أن تضعيف حسنة العمل إلى عشرة مجزوم به، وما زاد عليها جائز وقوعه بحسب الزيادة في الإخلاص، وصدق العزم، وحضور القلب، وتعدي النفع، كالصدقة الجارية، والعلم النافع، والسنة الحسنة، وشرف العمل، ونحو ذلك (4).

وهذا نظير قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 160]، وهذا دليل على مضاعفة الأجور من قبل الرب الرحيم، كما قال مظهر الدين الزيداني: "هذا من جملة إنعامه الكامل على عباده، ونتائج سبق رحمته على غضبه" (5).

(1) الكلاباذي، بحر الفوائد، ص 387.

(2) صحيح البخاري (1/17)، كتاب الإيمان، باب حسن إسلام المرأة، حديث 42، صحيح مسلم (1/118)، كتاب الإيمان، باب إذا همَّ العبدُ بحسنةٍ كُتِبَتْ وإذا همَّ بسَيِّئةٍ لم تُكْتَبْ، حديث 130.

(3) صحيح مسلم (1/118)، كتاب الإيمان، باب إذا همَّ العبدُ بحسنةٍ كُتِبَتْ وإذا همَّ بسَيِّئةٍ لم تُكْتَبْ، حديث 129.

(4) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (11/326).

(5) مظهر الدين الزيداني، المفاتيح في شرح المصابيح (6/197).

سادسًا: تبديل السيئات إلى حسنات:

قال تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: 70].

وفي الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا؛ رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيَقَالُ: اغْرَضُوا عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُغْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فيَقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا، وَكَذَا وَكَذَا، وَكَذَا، فيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُسْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُغْرَضَ عَلَيْهِ، فيَقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا"، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ⁽¹⁾.

قال ابن هبيرة في بيان فضل الله تعالى على هذا العبد: "وإنه ليتهي به الأمر إلى الشدة الشديدة التي تناهت به إلى أن تخلف في النار بعد خروج أهلها المذنبين بأسرهم منها، وناهيك بذلك شدة، ثم إنه بعد ذلك تناهى به الفضل من الله ﷻ، فيكون ما تفضل الله ﷻ به عليه أن وقفه على صغار ذنوبه ثم بدّل له مكان كل سيئة حسنة، لأنّ كرم الله ﷻ لا يقاس بكرم الخلق إذ غاية ما في كرم الخلق إذا أحسن إليهم أن يجازوا بالإحسان، فإذا أساء إليهم مسيء فقصاره أن لا تحيط حسناته عندهم بإساءته، فأما إن تناهى كرم الكريم إلى أن تنقلب السيئة بعينها حسنة، فإنّ هذا مما لا يقاس بالمعهود في عادة الخلق، بل هذا مما يتفرد الله ﷻ به"⁽²⁾.

وأما ضحكك رسول الله ﷺ فقد كان لسببين:

الأول: فإنه يجوز أن يكون تعجبًا من سرعة تقلب الآدمي من اليأس الشديد إلى الطمع العتيد، فإنّ هذا مما كان خائفًا كبار ذنوبه أن تظهر له، فلما عرف ما منّ الله به عليه زاد طمعه في وقته وحاله إلى أن قال: "رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا"،

(1) صحيح مسلم (1/177)، كتاب الإيمان، باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ فِيهَا، حديث 190.

(2) ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح (2/177).

وإنما قصد بذلك الحسنات التي تُبدل منها، فيكون ضحك رسول الله ﷺ من شدة قنوطه أولاً، ثم تعقيب ذلك باتساع الطمع ثانياً⁽¹⁾.

والآخر: أنه ﷺ فرح بهذه الكرامة من الله ﷻ لعباده المؤمنين بتبديله سيئاتهم إلى حسنات؛ لأنه إذا بُدلت السيئات بالحسنات في حق من عوقب على ذنوبه بالنار، ففي حق من محيت سيئاته بالإسلام والتوبة النصوح أولى، لأن محوها بذلك أحب إلى الله من محوها بالعقاب⁽²⁾.

ثامناً: إقامة الشهادة على العباد:

تقام الشهادة على العباد؛ حتى لا تبقى لهم حجة، وهذا ما سوف أتحدث عنه في المبحث الآتي.

المبحث الثاني: الشهادة على العباد

المطلب الأول: شهادة الأعضاء والجوارح:

ثبت في القرآن والسنة أن الألسنة والأيدي والأرجل وسائر الجوارح هم من الشهود العدول على الإنسان يوم القيامة، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: 24-25].

وهناك أعضاء أخرى تشارك في الشهادة على أصحابها، ألا وهي: السمع والبصر والجلد الذي يحدث بينه وبين صاحبه تخاصم وجدال كبير، كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا دِينُنَا لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: 20-22].

(1) انظر: ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح (2/177).

(2) انظر: ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم (1/299).

ولهذه الآيات سبب نزول؛ فقد أخرج مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: اجتمع عند البيت ثلاثة نفر قرشيّان وثقفيّ، أو ثقفيان وقرشيّ، قليل فقه قلوبهم، كثير شحم بطونهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟، وقال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا، فهو يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ الآية (1).

والحكمة من إيراد ذلك؛ تذكيرهم بشهادة أعضائهم عليهم يوم القيامة، ومن باب أولى علمه تعالى بذلك، وكفى به شهيداً.

وقد أخرج مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَضَحِكَ، فَقَالَ: "هَلْ تَذَرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟"، قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "مِنْ مُحَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟"، قَالَ: "يَقُولُ: بَلَى"، قَالَ: "فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي"، قَالَ: "فَيَقُولُ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا"، قَالَ: "فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي"، قَالَ: "فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ"، قَالَ: "ثُمَّ يُحْلَىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ"، قَالَ: "فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكِنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكَنَ كُنْتُ أَنَاضِلُ" (2). وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال تعالى: "ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدًا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟! فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعَظْمِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعَظْمُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَاقِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ" (3).

قوله تعالى: "كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا": فيه أن الله تعالى أنطق جوارحه؛ لتزكية الشهود- من الملائكة والرسول-، لا لارتياح بهم، ولا لتتميم شهادتهم (4).

(1) صحيح مسلم (4/2141)، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث 2775.

(2) صحيح مسلم (4/2280)، كتاب الزهد والرقائق، باب منه، حديث 2969.

(3) صحيح مسلم (4/2280)، كتاب الزهد والرقائق، باب منه، حديث 2968.

(4) ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح (5/398).

وقوله: "فَعَنْكَنَّ كُنْتُ أَنَا ضِلُّ": أي أجادل وأخاصم وأدافع⁽¹⁾.

قال السفاريني: "إذا لم يكن العبد عمل بالجوارح مكروهاً؛ لم تشهد عليه إلا بخير أعماله، وسديد أفعاله، وطيب أقواله، فهي حيثن خير شهود له عند ربه"⁽²⁾.

وأخرج ابن ماجه عن جابر⁽³⁾، قَالَ: لَمَّا رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُهَاجِرَةً الْبَحْرِ⁽⁴⁾، قَالَ: "أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَايِبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟"، قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً⁽⁵⁾ مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتَى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ دَفَعَهَا، فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ التَّفَتَّتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غَدْرُ⁽⁶⁾ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا. قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "صَدَقْتَ صَدَقْتَ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعْفِهِمْ مِنْ شِدِيدِهِمْ؟"⁽⁷⁾.

(1) انظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، "تَصَلَّ"، (5/72)، وابن منظور، لسان العرب، "تَصَلَّ"، (11/665).

(2) السفاريني، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (2/493).

(3) في رواية: قال: "مُهَاجِرَةُ الْحَبَشَةِ". (ابن حبان، صحيح ابن حبان 11/443، حديث 5058).

(4) سُمِّيَتْ قُلَّةً؛ لِأَنَّهَا تَقَلُّ: أَي تَرْفَعُ وَتُحْمَلُ، وَهِيَ مَا تَأْخُذُ مِنْهَا مَزَادَةٌ مِنَ الْمَاءِ. (ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، "قَلَّلَ"، 4/104).

(5) أَي: غَادِرٍ لِلْمُبَالِغَةِ، يُقَالُ لِلذَّكَرِ غُدْرٌ، وَلِلْأُنْثَى غَدَارٌ، وَهُمَا مُخْتَصَّانَ بِالنَّدَاءِ فِي الْعَالِمِ. (ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، المرجع نفسه، "غَدَرٌ"، 3/345).

(6) سنن ابن ماجه (5/143)، كتاب الفتن، بَابُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، حديث 4010. وقد حسنه ابن حجر، والبوصيري، وقال الذهبي: إسناده صالح. (ابن حجر العسقلاني، المطالب العلية، 13/750، والبوصيري، مصباح الزجاجة، 4/183، والذهبي، العلو للعلي الغفار، ص85).

وله شاهد عن بريدة بن الحصيب⁽⁸⁾، أخرجه البزار في مسنده (10/334)، حديث (4464)، والطبراني في المعجم الأوسط (5/252)، حديث (5234)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/157)، حديث (11514).

قوله ﷺ: "صَدَقْتُ صَدَقْتُ": فيه إقرار من النبي ﷺ لكلام العجوز على ما قالت من حشر الناس، وحسابهم، والاقتصاص بينهم، وشهادة الأعضاء عليهم.
وقوله ﷺ: "كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لَصَعِيفِهِمْ مِنْ شِدِيدِهِمْ؟": استخبار فيه إنكار وتعجيب، أي: أخبروني كيف يطهر الله قومًا لا ينصرون العاجز الضعيف على الظالم القوي مع تمكنهم من ذلك؟ أي: لا يطهرهم الله أبدًا، فما أعجب حالكم، إن ظننتم أنكم مع تماديكم في ذلك تطهركم⁽¹⁾.

أما عن الحكمة والمقصود من استشهاد الأعضاء؛ فهي كما قال ابن هبيرة: "فيه من الفقه إظهارُ الله ﷻ لعباده عدله، ومن عدله أنه لم يُجر على تثبيت الحقوق بين يديه أن تكون قضية من قضاياها يحكم فيها بالشهود العدول، ثم إن جحد الجاحد فلا يُظهر الله على رؤوس الأشهاد كذب ذلك الجاحد وافتراءه؛ فأنطق الله ﷻ جوارح الإنسان بما جحدته مزية للشهود. ولو كان مع الشقي توفيق لنطق بفيه، وهو يقدر أن ينطق معترفًا لله ﷻ، فكان لا يجمع بين فعل ما لا يجوز له فعله، وبين أن يجاهد الله ﷻ ذلك، ومن أن يجهل أن الله قادرٌ على أن يُظهر كل خفي، فاجتمع لهذا الشقي معصية وكذب وجهل بربه"⁽²⁾.

ولذلك فليحذر العاقل في استخدام هذه الأعضاء في معصية ربه؛ لأنها ستكون يوم القيامة ضده، وحُجةً عليه.

المطلب الثاني: شهادة الأرض وسائر المخلوقات:

ثمّا يشهد للعبد أو يشهد عليه يوم القيامة من المخلوقات مما جاء ذكره في القرآن والسنة، الأرض، فقد قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآ * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: 1-5].

(1) انظر: المناوي، فيض القدير (5/59).

(2) ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح (5/398).

وقد بين النبي ﷺ معنى هذه الآيات، وأفاد أن الأرض تشهد على العبد يوم القيامة بما كان يعمل على ظهرها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: "أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟"، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "فإن أخبرها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا"، قال: "فهدئه أخبارها"⁽¹⁾.

قوله ﷺ: "أَخْبَارُهَا": يعني حديثها وشهادتها.

وقوله ﷺ: "أَنْ تَقُولَ: عَمَلٌ كَذَا وَكَذَا"، أي: من الطاعة أو المعصية، فهذه الشهادات أو المذكورات، هي أخبارها"⁽²⁾.

وقوله ﷺ: "أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أُمَّةٍ": الظاهر أن العموم فيه مخصوص بغير ذي الأعمال المكفرة، ويحتمل عموم الخبر لهم، ويكون شهادتها بذلك تذكيراً لمزيد إنعام الله عليه، حيث ساعه بسوء عمله، ولم يعاقبه عليه، بل أثابه من فضله"⁽³⁾.

ومما يشهد على أعمال العباد يوم القيامة؛ الحجر الأسود، فإنه يشهد لمن استلمه بحقه، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما -، قال: قال رسول الله ﷺ، في الحجر: "وَاللَّهِ لَيُبَعَثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ

(1) مسند أحمد (455/14)، حديث 8867، وجامع الترمذي: (4/197)، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في العرض، حديث 2429، و: (5/303)، كتاب التفسير، باب سُورَةُ إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ، حديث 3353، وقد قال الترمذي: "حسن صحيح غريب"، وقال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وحسنه البغوي. (الترمذي، الجامع 5/303، حديث 3353، الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين 2/256، حديث 3012، والبغوي، شرح السنة 15/116، حديث 4308).

(2) انظر: القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (8/3520).

(3) انظر: ابن علان الصديقي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (4/301).

بِحَقِّ" (1). وفي رواية: قال: "إِنَّ هَذَا الْحَجَرَ لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، يَشْهَدُ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَقِّ" (2).

قوله ﷺ: "عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ"، أي: "متلبساً بحق وهو دين الإسلام، واستلامه بحق هو طاعة الله واتباع سنة نبيه ﷺ، لا تعظيم الحجر نفسه، والشهادة عليه هي الشهادة على أدائه حق الله المتعلق به" (3).

ويجوز أن يتعلق قوله "بِحَقِّ" بقوله: "يَشْهَدُ" أي: يشهد بحق على من استلمه بغير حق، كالكافر والمستهزئ، ويكون خصمه يوم القيامة، ويشهد بحق لمن استلمه بحق، كالمؤمن المعظم لحرمة (4).

وهذا الحديث نظير قوله ﷺ: "إِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جَنَّ وَلَا إِنْسٍ وَلَا شَيْءٍ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (5).

قوله ﷺ: "مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ": فيه تنبيه على أن آخر ما ينتهي إليه صوت المؤذن يشهد له، كما يشهد له الأولون، وقوله ﷺ: "جَنَّ وَلَا إِنْسٍ وَلَا شَيْءٍ" من باب عطف العام على الخاص، فإنه يشمل الإنس والجن والحيوانات حتى الجمادات، والله تعالى يخلق لها إدراكاً وعقلاً، وهو غير ممتنع عقلاً ولا شرعاً (6).

(1) مسند أحمد (91/4)، حديث 2215، وجامع الترمذي (2/286)، كتاب الحج، باب ما جاء في الحجر الأسود، حديث 961، وقد قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ"، وسنن ابن ماجه (2/982)، كتاب المناسك، باب استلام الحجر، حديث 2944.

(2) مسند أحمد (4/226)، حديث 2398، وصحيح ابن خزيمة (4/221)، حديث 2736، وصحيح ابن حبان (9/25)، حديث 3711، والمستدرک على الصحيحين (1/457)، حديث 1680. وقال الحاكم: "صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُجَرَّجَاهُ"، ووافقه الذهبي.

(3) انظر: السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه (2/221)، والمباركفوري، مرعاة المفاتيح (9/111).

(4) انظر: الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن (6/1982)، والمناوي، فيض القدير (5/345).

(5) صحيح البخاري (1/125)، كتاب الأذان، باب رفع الصوت بالنداء، حديث 609.

(6) انظر: العيني، عمدة القاري (5/115).

ويستفاد من الحديث: استحباب رفع الصوت بالأذان؛ ليكثر من يشهد له، ما لم يُجْهِدْهُ أَوْ يَتَأَذَّى بِهِ⁽¹⁾.

ولذلك استحَبَّ ابن القيم الإكثار من ذكر الله ﷻ في كل وقت ومكان؛ كي يكثر العبد من الشهود له عند الله يوم القيامة، حيث قال: "إنَّ في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع كثيراً لشهود العبد يوم القيامة، فإنَّ البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة"⁽²⁾.

ومما يشهد على العبد يوم القيامة ماله إن أنفق في غير طريقه المشروع، وضيعه في الحرام، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وإنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلُوٌّ، وَنَعَمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ لَمَنْ أَعْطَى مِنْهُ الْمُسْكِينَ، وَالْيَتِيمَ، وَابْنَ السَّبِيلِ، وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بَعْزِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..."⁽³⁾ الحديث.

فأفاد الحديث؛ أنَّ المال إن استخدمه صاحبه في ما يرضي الله ﷻ كان له ذخراً ورفعةً في الآخرة، وإلا فإنه سيكون شاهداً وحجةً عليه، ووبالاً وحسرةً وذلاً، والعياذ بالله.

قوله ﷺ: "وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ": أوذلك بأن ينطق الله الصامت منه بما فعل أو يمثل مثاله⁽⁴⁾.

قال ابن حجر: "ويحتمل أن يشهد عليه حقيقة، بأن ينطقه الله تعالى، ويجوز أن يكون مجازاً، والمراد شهادة الملك الموكل به"⁽⁵⁾.

(1) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (2/89).

(2) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص 81.

(3) صحيح البخاري (4/26)، كتاب الجهاد، باب فَضْلِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حديث 2842، صحيح مسلم (2/728)، كتاب الزكاة، باب تَخَوُّفِ مَا يَخْرُجُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، حديث 1052.

(4) انظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (5/65).

(5) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (11/247).

وقال القرطبي: "فتفكر يا أخي؛ وإن كنت شاهداً عدلاً بأنك مشهود عليك في كل أحوالك، من فعلك، ومقالك، وأعظم الشهود لديك المطلع عليك الذي لا تخفى عليه خافية عين، ولا يغيب عنه زمان ولا أين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [يونس: 61]، فاعمل عمل من يعلم أنه راجع إليه وقادم عليه مجازي على الصغير والكبير والقليل والكثير، سبحانه لا إله إلا هو" (1).

المطلب الثالث: شهادة الأنبياء:

جاء في القرآن والسنة أن كل نبي يشهد على أمته، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ [النحل: 89].

والمعنى: نسأل نبيهم الذي بعثناه إليهم للدعاء إلى طاعتنا؛ لأنه تعالى ذكره كان يبعث إلى أمم أنبياءها، ومن هذه الأسئلة: ماذا أجابوكم، وما ردوا عليك. ويقول لنبه محمد ﷺ: وجئنا بك يا محمد شاهداً على قومك وأمتك الذين أرسلتك إليهم بما أجابوك، وماذا عملوا فيما أرسلتك به إليهم (2).

وفي الصحيحين: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: "اقْرَأْ عَلَيَّ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41]، قَالَ: "حَسْبُكَ الْآنَ"، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ" (3).

قال ابن بطال: "يحتمل أن يكون أمره ﷺ بقطع القراءة تنبيهاً له على الموعظة والاعتبار في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾، ألا ترى أنه ﷺ بكى عندها، وبكاؤه إشارة منه إلى معنى الوعظ؛ لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة

(1) القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص 681-680.

(2) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (17/278).

(3) صحيح البخاري (6/196)، كتاب فضائل القرآن، باب قَوْلِ الْمُقْرِئِ لِلْقَارِئِ حَسْبُكَ، حديث 5050، وصحيح مسلم (1/551)، كتاب صلاة المسافرين، باب فَضْلِ اسْتِئْجَارِ الْقُرْآنِ وَطَلَبِ الْقِرَاءَةِ مِنْ حَافِظٍ لِلِاسْتِئْجَارِ وَالْبُكَاءِ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ وَالتَّذَبُّرِ، حديث 800.

الحال الداعية له إلى شهادته لأتمته بتصديقه، والإيمان به وسؤاله الشفاعة لهم، ليريحهم من طول الموقف وأهواله، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن⁽¹⁾.

والله ﷻ له من خلقه شهداء كثيرون، فيشهد كل نبي على قومه، وتشهد أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم، إكراماً وتفضلاً من الله لهذه الأمة، فقد أخرج البخاري: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُجَاءُ بَنُوحَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ؟، فيقول: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَيُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَغَكُمْ؟ فيقولون: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فيقول: مَنْ شَهِدُوكُمْ؟، فيقول: مُحَمَّدٌ، وَأُمَّتُهُ، فَيَجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، قَالَ: عَدَلًا، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]"⁽²⁾.

فهذا الحديث يتضمّن الشهادة على الشّهادة، وهي مقبولة عند عامّة العلماء، وأمة محمد ﷺ شهدوا على شهادة الله ﷻ عندهم بالتبليغ⁽³⁾.

ولا يجوز أن يكونوا شهداء غير مقبولي القول، ولما كان الرسول واجباً اتباعه وجب اتباع قولهم؛ لأن الله جمع بينه وبينهم في قبول قولهم وزكاهم وأحسن الشّاء عليهم بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، يعني عدلاً⁽⁴⁾.

قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾: فيه قولان: أحدهما: لتكونوا شهداء يوم القيامة للأنبياء على أمهم بأنهم قد بلغوا، والآخر: لتكونوا شهداء لمحمد ﷺ على الأمم اليهود والنصارى والمجوس، ويكون الرسول شهيداً عليكم بأعمالكم⁽⁵⁾.

(1) ابن بطال المالكي، شرح صحيح البخاري (279-10/278).

(2) صحيح البخاري (9/107)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، حديث 7349.

(3) انظر: ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين (3/160).

(4) انظر: ابن بطال المالكي، شرح صحيح البخاري (10/379).

(5) انظر: ابن الجوزي، التبصرة (1/493-494).

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونصلي ونسلم على خير الأنام نبينا محمد وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد: نضع بين يدي القارئ الكريم ما توصلنا إليه من نتائج وتوصيات.

أولاً: النتائج:

1. محاسبة الله تعالى لعباده على ما قدموه من أعمال في الدنيا تكون بسؤالهم عن الدواعي التي دعتهم إلى هذه الأعمال، وعن الصوارف التي صرفتهم عنها، فلا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؟؛ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول لهم: لم عملتم كذا وكذا؟
2. محاسبة الله ﷻ لعبده تكون مباشرة من غير واسطة أو ترجمان، ولا يُعجز الله ﷻ أن يحاسب عباده كلهم في آن واحد، كما رزقهم في آن واحد، فهو على كل شيء قدير.

3. تختلف طريقة المحاسبة ونوعها من شخص لآخر حسب مرتبته، ما بين العرض، والمناقشة، ومعاتبة الرب ﷻ لعبده على نقصيره.

4. يكون الحساب وفق قواعد عادلة، ونظام حكيم، لا يشوبه الظلم، ولا يعتريه النقص، وهذه القواعد التي يحاسب الله بها العباد تتمثل فيما يأتي: (أنَّ الجزء من جنس العمل، والرحمة بالعباد، وأنَّ الله لا يؤاخذ أحداً بجريرة غيره، و اطلاع العباد على ما قدموه من أعمال، ومضاعفة الحسنات دون السيئات، وتبديل السيئات إلى حسنات، وإقامة الشهادة على العباد).

5. إقامة الشهادة على العباد، تشمل: شهادة أعضاء الإنسان على نفسه، وشهادة باقي المخلوقات عليه، وشهادة الأنبياء والملائكة عليه.

ثانياً: التوصيات:

1. نوصي بدراسة الموضوع بشكل استقرائي من جميع كتب السنة في رسالة علمية ماجستير أو دكتوراه.

2. نوصي طلبة العلم الشرعي كافة، وطلبة الحديث الشريف خاصة بالاهتمام بالدراسات الموضوعية التي تساهم في حل مشكلات المجتمع، سواء أكانت العقدية، أم الفكرية، أم الاقتصادية، أم الاجتماعية، أم السياسية، أم غير ذلك.

المصادر والمراجع

1. ابن الأثير، أبو السعادات، المبارك بن محمد الجزري، ت606هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.
2. أحمد مختار عبد الحميد عمر، ت1424هـ، وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م.
3. الأشقر، عمر بن سليمان الأشقر العتيبي، القيامة الكبرى، دار النفائس، الأردن، ط6، 1415هـ - 1995م.
4. البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، ت256هـ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة- بيروت، ط1، 1422هـ.
5. البزار، أبو بكر، أحمد بن عمرو البزار، ت292هـ، مسند البزار، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط1، بدأت 1988م، وانتهت 2009م.
6. ابن بطل، أبو الحسن، علي بن خلف المالكي، ت449هـ، شرح صحيح البخاري، تحقيق ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ - 2003م.
7. البغوي، أبو القاسم، عبد الله بن محمد البغوي، ت317هـ، معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان - الكويت، ط1، 1421هـ - 2000م.

8. البغوي، أبو محمد، الحسين بن مسعود البغوي، ت516هـ، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، ط2، 1403هـ - 1983م.
9. البوصيري، أبو العباس، أحمد بن أبي بكر البوصيري، ت840هـ، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية - بيروت، ط2، 1403هـ.
10. البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، ت458هـ، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 1424هـ - 2003م.
11. الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى الترمذي، ت279هـ، الجامع = سنن الترمذي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الجيل - بيروت، ودار العرب الإسلامي - بيروت، ط2، 1998م.
12. ابن تيمية، أبو العباس، أحمد بن عبد الحلیم الحراني، ت728هـ، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ - 1995م.
13. الثعلبي، أبو إسحاق، أحمد بن محمد الثعلبي، ت427هـ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد ابن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ - 2002م.
14. ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي الجوزي، ت597هـ، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض، د.ط، د.ت.
15. ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي الجوزي، ت597هـ، التبصرة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ت1406هـ - 1986م.
16. الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت393هـ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م.

17. الحاكم، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله النيسابوري، ت405هـ، المستدرک علی الصحیحین وبذیلہ التلخیص للذهبي، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة- بيروت.
18. ابن حبان، أبو حاتم، محمد بن حبان البستي، ت354هـ، صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت739هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط2، 1414هـ، 1993م.
19. ابن حجر، أبو الفضل، أحمد بن علي العسقلاني، ت852هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة- بيروت، 1379هـ.
20. ابن حجر، أبو الفضل، أحمد بن علي العسقلاني، ت852هـ، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد- سوريا، 1406هـ- 1986م.
21. ابن حجر، أبو الفضل، أحمد بن علي العسقلاني، ت852هـ، تهذيب التهذيب، ت852هـ، دار الفكر- بيروت، 1404هـ- 1984م.
22. ابن حجر، أبو الفضل، أحمد بن علي العسقلاني، ت852هـ، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق: د. سعد بن ناصر الشثري وآخرون، دار العاصمة- الرياض، دار الغيث- الرياض، الطبعة الأولى، 1420هـ- 2000م.
23. ابن حجر، أبو الفضل، أحمد بن علي العسقلاني، ت852هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415هـ.
24. ابن حنبل، أبو عبد الله، أحمد بن محمد الشيباني، ت241هـ، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1416هـ- 1995م.
25. ابن خزيمة، أبو بكر، محمد بن إسحاق النيسابوري، ت311هـ، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي- بيروت، ط3، 1424هـ- 2003م.

26. الدارمي، أبو محمد، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ت255هـ، مسند الدارمي = سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني - الرياض، ط1، 1412هـ - 2000م.
27. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت275هـ، السنن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ - 2009م.
28. الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الذهبي، ت748هـ، ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة - مكة، ط2، 1387هـ - 1967م.
29. الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت748هـ، ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق، تحقيق: محمد شكور بن محمود الحاجي أمير الميادين، مكتبة المنار - الزرقاء، ط1، 1406هـ - 1986م.
30. الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الذهبي، ت748هـ، العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيهما، تحقيق: أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، ط1، 1416هـ - 1995م.
31. الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الذهبي، ت748هـ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة - جدة، ط1، 1413هـ - 1992م.
32. الرازي، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر الرازي، ت666هـ، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت - صيدا، ط5، 1420هـ - 1999م.
33. الرازي، أبو عبد الله، محمد بن عمر الرازي، ت606هـ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420هـ.
34. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، ت795هـ، التخويف من النار والتعريف بمجال دار البوار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1405هـ.

35. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي ت795هـ، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط7، 1422هـ - 2001م.
36. الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمرو الزمخشري جار الله، ت538هـ، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - لبنان، ط2.
37. السفاريني، أبو العون، محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ت1188هـ، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، مؤسسة قرطبة - مصر، ط2، 1414هـ - 1993م.
38. السندي، أبو الحسن، محمد بن عبد الهادي السندي، ت1138هـ، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه = حاشية السندي على سنن ابن ماجه، دار الجليل - بيروت، د.ط، د.ت.
39. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت911هـ، الديباج على صحيح مسلم، تحقيق: أبو اسحاق الحويني، دار ابن عفان - السعودية، ط1، 1416هـ - 1996م.
40. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت911هـ، مصباح الزجاجة شرح سنن ابن ماجه، - ضمن مجموع من 3 شروح -، الناشر: قديمي كتب خانة - كراتشي، د.ط، د.ت.
41. الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، ت1250هـ، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط1، 1413هـ - 1993م.
42. الصنعاني، أبو إبراهيم، الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، ت1182هـ، التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432هـ - 2011م.
43. الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني، ت360هـ، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، 1415هـ.

44. الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني، ت360هـ، المعجم الصغير= الروض الداني، تحقيق: محمد شكور محمد الحاج أمرير، المكتب الإسلامي - بيروت، دار عمار - عمان، ط1، 1405هـ - 1985م.
45. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، ت310هـ، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
46. ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف بن عبد الله القرطبي، ت463هـ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، ط1، 1412هـ - 1992م.
47. العظيم آبادي، أبو عبد الرحمن، محمد أشرف بن أمير الصديقي، ت1329هـ، عون المعبود شرح سنن أبي داود، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ.
48. ابن علان، محمد علي بن محمد الصديقي، ت1057هـ، دليل الفالحين، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط4، 1425هـ - 2004م.
49. العيني، أبو محمد، محمود بن أحمد العيني، ت855هـ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لدار إحياء التراث العربي - بيروت.
50. ابن الفاجر، أبو أحمد، معمر بن عبد الواحد الأصبهاني، ت564هـ، موجبات اللجنة، تحقيق: ناصر بن أحمد الدمياطي، مكتبة عباد الرحمن، ط1، 1423هـ - 2002م.
51. ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس الرازي، ت395هـ، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر - بيروت، 1399هـ.
52. ابن فورك، أبو بكر، محمد بن الحسن الأصبهاني، ت406هـ، مشكل الحديث وبيانه، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب - بيروت، ط2، 1985م.
53. القاري، أبو الحسن، الملا علي بن (سلطان) محمد القاري، ت1014هـ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ - 2002م.
54. القاضي عياض، أبو الفضل، عياض بن موسى اليحصبي، ت544هـ، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط1، 1419هـ - 1998م.

55. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد القرطبي، ت 671هـ، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق: د. الصادق بن محمد، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط 1، 1425هـ.
56. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد القرطبي، ت 671هـ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط 2، 1384هـ - 1964م.
57. ابن قرقول، أبو إسحاق، إبراهيم بن يوسف الوهراني، ت 569هـ، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، دار الفلاح، وزارة الأوقاف - دولة قطر، ط 1، 1433هـ - 2012م.
58. القسطلاني، أبو العباس، أحمد بن محمد القسطلاني، ت 923هـ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط 7، 1323هـ.
59. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، ت 751هـ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، مطبعة المدني، القاهرة، د. ط، د. ت.
60. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، ت 751هـ، تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته = حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، مع عون المعبود للعظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ.
61. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، ت 751هـ، مدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، 1416هـ - 1996م.
62. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، ت 751هـ، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث - القاهرة، ط 3، 1999م.
63. ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي، ت 774هـ، النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجليل، بيروت - لبنان، 1408هـ - 1988م.
64. الكرمانى، محمد بن يوسف الكرمانى، ت 786هـ، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط 2، 1401هـ - 1981م.

65. الكلاباذي، أبو بكر، محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي، ت380هـ، بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1420هـ - 1999م.
66. ابن ماجه، أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني، ت273هـ، السنن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ - 2009م.
67. المباركفوري، أبو الحسن، عبيد الله بن محمد المباركفوري، ت1414هـ، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط3، 1404هـ - 1984م.
68. المروزي، أبو عبد الله، محمد بن نصر المروزي، ت294هـ، تعظيم قدر الصلاة، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط1، 1406هـ.
69. المزي، أبو الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن المزي، ت742هـ، تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1400هـ - 1980م.
70. مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت261هـ، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
71. المظهر، الحسين بن محمود الزيداني، ت727هـ، المفاتيح في شرح المصابيح، تحقيق: نور الدين طالب، وآخرون، دار النوادر، ط1، 1433هـ - 2012م.
72. المناوي، عبد الرؤوف المناوي، ت1031هـ، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط3، 1408هـ - 1988م.
73. المناوي، عبد الرؤوف المناوي، ت1031هـ، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط1، 1356هـ.
74. ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم الأنصاري، ت711هـ، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ.
75. النسائي، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائي، ت303هـ، سنن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط2، 1406هـ - 1986م.

76. النووي، أبو زكريا، يحيى بن شرف النووي، ت676هـ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط2، 1392هـ.

77. ابن هبيرة، أبو المظفر، يحيى بن هبيرة الشيباني، ت560هـ، الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، 1417هـ.